المحاضرة 4
السياسة الاستعمارية في الوطن العربي.

إن فهم مدلول مصطلح: السياسة الاستعمارية سيُسهّل علينا من دون شك استيعاب وفهم كثير من الوقائع والحقائق؛ هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فمعالجتنا للسياسة الاستعمارية ستتم عبر ثلاث محاور: قبل الإحتلال، أثناء الإحتلال، بعد الإحتلال. تاركين المحور الأخير لأنه غير معني. ولذلك يمكن التساؤل: ما هي السياسة الاستعمارية الأوربية قبل الاحتلال؟. يمكن تحديد ذلك حسب الدولة المُستعمرة؛ فسياسة بريطانيا تختلف عن سياسة فرنسا؛ وسياسة ايطاليا تختلف عن سايسة اسبانيا وهكذا دواليك، وإن كان الهدف واحد هو الغزو والاستدمار.

-السياسة الفرنسية في الجزائر كأنموذج:

-قبل الاحتلال: قصد نجاح مشروع الاحتلال الأوربي الفرنسي للجزائر، اتبعت فرنسا سياسة متعددة الجوانب، ركزت من خلالها على جملة من المعطيات:

-السياسة الاعلامية:

توظيف الدعاية؛ يتجلى لنا ذلك من خلال البيان الذي وزعته على الجزائريين قبيل الحملة العسكرية؛ الذي حددت من خلاله الهدف من الحملة؛ وهي تأديب الداي حسين؛ بيان راوغت من خلاله أطراف عدة: الشعب الجزائري، بريطانيا، السلطان العثماني، السلطان المغربي، الباي التونسي...الخ. وبعد نجاح الحملة راحت فرنسا تتنصل من وعودها الكاذبة. وأصدرت في سنة 1834 مرسوم الحاق الجزائر بفرنسا!؟.

-المراهنة على القوة العسكرية من حيث:

العدة، العتاد، الأسلوب العسكري: فمن حيث عدد الجيش بدأت ب37- ألف جندي ليرتفع سنة 1842 إلى أكثر من 100 ألف جندي؟ وفي ظل هذا التصاعد العسكري استخدمت أساليب وحشية: حرب الابادة الجماعية، سياسة السيف والمحراث، الأرض المحروقة، ولم تكتف فرنسا بذلك بل استخدمت ولأول مرة في التاريخ الحديث الغازات السامة كما حدث في اقتحامها للأغواط سنة 1852. وهي سابقة خطيرة في تاريخ الاستعمار الأ وربي الحديث.

-المراهنة على تفتيت المجتمع الجزائري:

سياسة فرق تسد، حيث سلكت في هذا المنحى عدة طرق وأساليب خبثة وشريرة؛ مثال ذلك: تفتيت المجتمع، القبائل والأعراش، سن قانون الحالة المدنية –الألقاب القبيحة والمُشينة-تهجير القبائل من مكان لآخر، استغلال تركيبة المجتمع الجزائري وزرع الفتنة والتفرقة بين القبائل، العرب،

الشاوية، بني مزاب، التوارق...الخ.

-الاستعانة بالطابور الخامس:

وهي اختراق المجتمع الجزائري من خلال البحث عن عملاء وموالين لها، سواء من خلال تجنيدهم في صفوفها: فرقة الزواف، فرقة الصبايحية، القومية، والحركى والموالين لها من كل أطياف المجتمع، مدنيين، عسكريين، عُيون مُخبرين...الخ. ففي هذا الصدد نجحت في تكوين فئة كبيرة موالية لها تعمل ضد الجزائريين، فئة كان لها للأسف الشديد دور كبير في قمع المقاومات الشعبية، عرقلة مسار الحركة الوطنية، استنزاف الثورة الجزائرية.

-توظيف الرشوة وشراء الذمم.

-منح الامتيازات، المناصب، توزيع برانيس الوظيفة على القياد والآغاوات.

***أما فيما يخص السياسة البريطانية** فيمكن استجلاء بعض معالمها في ما يلي:

-السياسة المالية من خلال توظيف الديون وخلق نوع من الأزمات المالية ليسهل تدخلها فيما بعد-تتشابه هنا مع فرنسا في كثير من المواقع-مثل أزمة أسهم قناة السويس.

-عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع شيوخ القبائل والعشائر في منطقة الخليج العربي-آل الصباح، آل الرشيد، آل سعود...الخ.

-المناورة، الكذب، المراوغة: مثل ما حدث مع شريف مكة الشريف حسين، حيث تم دفعه للقيام بالثورة ضد الدولة العثمانية مقابل تأسيس دولة عربية بمساعدة بريطانية-فرنسية، ففي الوقت الذي أعلن فيه عن ثورته سنة 1916 تم تقسيم المشرق العربي في اتفاقية سايكس-بيكو. وعليه فهذا الرجل المُغفّل لا هو حقق طموحاته ولا وقف إلى جانب الدولة العثمانية، بل ساهم في تجسيد آخر حلقة من حلقات المسألة الشرقية في الوطن العربي.